سُورَةُ مَرْيَمَ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾
إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ
مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ
شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ
ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ
مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ
إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا
﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى
عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ
قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ
شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا
تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ
مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾

سورة مريم

﴿كٓهيعٓصٓ﴾ الحروف المقطّعة للإشارة على إعجاز القرآن، فلبأتوا بمثله إن استطاعوا ﴿نِدَآءً خَفِيًّا﴾ دعاه بصوت خفي لا يكاد يُسمع ﴿وَهَنَ ٱلْعَظْمُ﴾ ضعف عظمي وذهبت قوتي ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ شاب رأسي من الشيخوخة، وهذه من أبدع أنواع الاستعارة وألطفها ﴿بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ لم تخيّب دعائي في وقت من الأوقات فاستجب الآن دعائي ﴿خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ﴾ خشيت من أقاربي من بعدي أن يُضيّعوا الدين ﴿مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ ابناً صالحاً يلي الأمر من بعدي ﴿يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ يرثني ويرثُ أجدادَه من ذرية يعقوب، في التقى، والعلم، والصلاح، والمراد بالارث وراثة العلم والدين، لا وراثة المال، فإن الأنبياء لا يورّثون المال، كما في الحديث الصحيح «نحن معاشرَ الانبياء لا نُورَثُ، ما تركناه صَدَقة» رواه البخاري. ﴿رَضِيًّا﴾ مرضياً في أخلاقه وأفعاله ﴿نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ﴾ نبشّرك عن طريق الملائكة بولد ذكر اسمه يحيى ﴿سَمِيًّا﴾ ليس له شبيه في الفضل والكمال ﴿عَاقِرًا﴾ امرأتي عقيم لا تلد؟ ﴿عِتِيًّا﴾ بلغتُ النهاية في الشيخوخة والكبر ﴿ءَايَةً﴾ علامة تدل على حمل امرأتي ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ﴾ علامتك أن لا تستطيع الكلام إلا بالإشارة ثلاثة أيام، وأنت صحيحٌ سويٌّ ليس بك مرض ولا علة.

قال أهل التفسير: كان زكريا قد بلغ من العمر مائةَ سنة، وامرأته بلغت تسعاً وتسعين سنة، وكانت عقيماً لا تلد، فاجتمع عليها العُقم، والشيخوخة، ومعنى العِتِيّ: النهاية في الكِبَر والهرم.

الجزء السادس عشر — سورة مريم

يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴿١٢﴾
وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ﴿١٣﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ
يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ
وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿١٥﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ
مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا
فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ
أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ
رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي
غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ
قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ
مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ
بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ
قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾
فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾
وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾

﴿بِقُوَّةٖ﴾ خذ التوراة بجد واجتهاد ﴿ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾ أعطيناه الفهم ورجاحة العقل منذ الصغر ﴿وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا﴾ رحمة وشفقة منا على والديه ﴿جَبَّارًا عَصِيّٗا﴾ لم يكن متكبراً عاصياً لأمر ربه ﴿ٱنتَبَذَتۡ﴾ حين تنحّت واعتزلت أهلها ﴿مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا﴾ شرقيّ بيت المقدس لتتفرّغ لعبادة الله ﴿رُوحَنَا﴾ جبريل عليه السلام ﴿بَشَرٗا سَوِيّٗا﴾ جاءها بصورة إنسانٍ تامّ الخلقة، جميل الصورة ﴿أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ﴾ أحتمي بالله وأستجير به منك ﴿تَقِيّٗا﴾ إن كنت ممن يخاف الله فلا تمسني بسوء ﴿رَسُولُ رَبِّكِ﴾ قال لها جبريل: أنا مرسل إليك من الله ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾ ليمنحك ربك بواسطتي غلاماً طاهراً من الذنوب قالت: كيف يأتيني ولد؟ ﴿وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ﴾ ولم يقربني أحد ﴿وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا﴾ ولم أكن زانية ﴿مَكَانٗا قَصِيّٗا﴾ بعيداً عن أهلها ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ﴾ ألجأها واضطرها ألم الطلق ﴿جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ إلى ساق نخلةٍ يابسة لتعتمد عليها حين الولادة ﴿نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا﴾ يا ليتني متُّ قبل هذا اليوم، وكنت شيئاً تافهاً لا يُعرف ولا يُذكر. ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ﴾ فناداها المَلَكُ (جبريل) من تحت النَّخلةِ قائلاً لها: لا تحزني لهذا الأمر ﴿تَحۡتَكِ سَرِيّٗا﴾ جعل ربك لك من تحتك نهراً صغيراً، يجري بالماء العذب السلسبيل ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ حرّكي جذع النخلة اليابسة ﴿رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ يتساقط عليك الرطب الطريُّ الشهيُّ. . أظهر الله لها بعض الخوارق لتسليتها، وتسكين آلامها، ولتعلم أن هذه كرامة من الله لها، فقد كان الوقت شتاء، والنخلة يابسة.

صد الحزب ٣١

فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي
إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾
فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ۖ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا
فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ
أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي
الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي
نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي
جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ
وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ الْحَقِّ
الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَانَهُ ۚ
إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ
فَاعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن
بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ
وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾

﴿وقرى عينًا﴾ طيبي نفساً بهذا المولود ﴿فإما ترين﴾ إن رأيت أحداً من البشر ﴿صومًا﴾ نذرتُ السكوت والصمت لله تعالى ﴿إنسيًا﴾ فلن أكلّم أحداً من الناس ﴿فريًا﴾ لقد جئت شيئاً عظيماً منكراً ﴿يا أخت هارون﴾ يا من تشبهين هارون في الصلاح والعبادة ﴿امرأ سوء﴾ ما كان أبوك رجلاً فاجراً ﴿بغيًا﴾ زانية، فكيف صدر هذا منك؟ وأنت من أسرة شريفة طاهرة؟ ﴿في المهد صبيًا﴾ كيف نكلّم طفلاً صغيراً لا يزال في السرير يرضع لبن أمه؟ ﴿عبد الله﴾ نطق عيسى فقال: أنا عبدُ الله خلقني بقدرته من غير أب ﴿آتاني الكتاب﴾ قضى ربي أن يؤتيني الإنجيل ﴿وجعلني نبيًا﴾ وأن يجعلني من الأنبياء المكرّمين، وهذه أول كلمة نطق بها السيد المسيح ﴿إن عبد الله﴾ ولا نجدها في الأناجيل مع أنها معجزة، حيث تكلّم وهو رضيع، لأنها تهدم عقيدة النصارى في (ألوهية المسيح)، فلذلك حذفوها من جميع الأناجيل، مع أنها من سواطع البراهين والمعجزات ﴿يمترون﴾ يشكّون ﴿فاختلف الأحزاب﴾ اختلفت الفرق من أهل الكتاب في شأن عيسى، النصارى جعلوه ابن الله، واليهود جعلوه ابن زنى، والجميع على ضلال. ﴿فويل للذين كفروا﴾ هلاك ودمار للكفار الفجار ﴿من مشهد يوم عظيم﴾ من شهود أهوال يوم الحساب، ذلك اليوم الرهيب.

توضيح: قوله تعالى ﴿يا أخت هارون﴾ أي يا من تشبهين نبيّ الله هارون في الصلاح والتُّقى، وليست أختاً له في النسب، روي عن المغيرة أنه قال: لمّا قدمتُ نجران سألوني فقالوا: إنكم تقرءون ﴿يا أخت هارون﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا؟ - يعني ألف سنة تقريباً - فسألتُ رسول الله ﷺ عن ذلك؟ فقال: «**إنهم كانوا يسمُّون بأنبيائهم، والصالحين قبلهم**» رواه مسلم.

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٩) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٤٠) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨) فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩) وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (٥٠) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا (٥١)

﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ الندامة الشديدة، بعد أن يُذبح الموت وينادي المنادي: **يا أهل الجنة خلودٌ فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت** كما رواه البخاري ﴿صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ أطعني أرشدك إلى طريق النجاة من الضلال ﴿لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ لا تطع أمره ﴿عَصِيًّا﴾ كثير العصيان للرحمن، فمن أطاعه أغواه ﴿لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ نكون قريناً له في جهنم ﴿أَرَاغِبٌ﴾ أتاركٌ يا إبراهيم عبادة آلهتي ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ لئن لم تكفّ عن عيب آلهتي لأرجمنك بالحجارة ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ اهجرني دهراً طويلاً.. بهذه السفاهة والجهالة كان ردُّ «آزر» على ولده «إبراهيم» قابَل به القول المؤدَّب المهذَّب ﴿يَا أَبَتِ﴾ الذي يدلُّ على شدة الحبِّ لأبيه ﴿حَفِيًّا﴾ قال له إبراهيم: سأسأل الله أن يهديك، إن ربي كان كثير البرِّ واللطف بي ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ﴾ أتركُكم وأهاجر بديني عنكم وأعبد ربي وحده، راجياً ألّا يجعلني ربي شقياً، وفيه تعريض بشقاوتهم حيث عبدوا الأوثان، وتركوا عبادة الرحمن.

سبب النزول: عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا دخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، وأهلُ النَّارِ النَّارَ، يُجاء بالموت كأنه كبشٌ أملحُ** - أي ضخم فيه بياضٌ وسواد - **فيوقف بين الجنة والنار، فينادي منادٍ: يا أهل الجنة: هل تعرفون هذا؟ فيمدُّون أعناقهم وينظرون، فيقولون: نعم هذا الموتُ، ثم يُقال: يا أهلَ النَّارِ هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموتُ، فيُؤمر بذبحه فيذبح، ثم يُقال: يا أهلَ الجنةِ خلودٌ فلا موت، ويا أهلَ النَّارِ خلودٌ فلا موت**» ثم قرأ ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ..﴾ الآية، رواه البخاري ومسلم.

﴿كَانَ مُخْلَصًا﴾ اخترناه واصطفيناه لكلامنا كما قال ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ أدنيناه للمناجاة ﴿أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾ ووهبنا له من نعمتنا أخاه هارون فجعلناه نبياً، حين سأل ربه قائلاً ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى هَٰرُونَ أَخِى﴾ ﴿وَٱسْمَٰعِيلَ﴾ اذكر يا محمد في القرآن العظيم خبر جدك ﴿إِسْمَٰعِيلَ﴾ الذبيح ﴿صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ كان صادقاً في وعده، صبر على الذبح ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ﴿إِدْرِيسَ﴾ هو جدُّ نوح عليه السلام ﴿صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ ملازماً للصدق في جميع أحواله ﴿مَكَانًا عَلِيًّا﴾ أعلينا قدره بشرف النبوة ﴿وَإِسْرَٰٓءِيلَ﴾ هو يعقوب جعلنا من ذريته أنبياء، (موسى، وهارون، وزكريا، ويحيى، وعيسى) ﴿هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَا﴾ ممن هديناهم للإيمان، واصطفيناهم لرسالتنا ووحينا ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ إذا سمعوا كلام الله، بكوا من خشية الله، وسجدوا خضوعاً لله ﴿خَلْفٌ﴾ جاء من بعدهم ذرية وأبناء سوء ﴿أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ تركوا الصلوات وسلكوا طريق الشهوات ﴿غَيًّا﴾ يلقون خساراً ودماراً ﴿مَّأْتِيًّا﴾ آتياً لا يُخلف، لأن الله لا يخلف الميعاد ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ ليس في الجنة كلامٌ ساقطٌ سافلٌ، ولا يسمعون فيها ألفاظاً قبيحةً نابيةً، إنما يسمعون فيها التحيةَ والسلام، تُسلِّم عليهم الملائكة، ويأتيهم السلام من رب العزة والجلال ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ لهم رزقهم في الصباح والمساء، مما تشتهيه الأنفسُ وتلذُّ الأعينُ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ لا ينساك ربك يا محمد، ولا ينسى أحداً من خلقه.

الجزء السادس عشر — سورة مريم

رَبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ الْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَىُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى الضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ۗ وَالْبَٰقِيَٰتُ الصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

﴿وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِۦ﴾ اصبر على عبادة الله واثبت عليها ﴿سَمِيًّا﴾ هل تعلم من يشابهه ويماثله في العظمة والجلال؟ وهل له من يماثله في الخلق والعلم؟ ﴿أُخْرَجُ حَيًّا﴾ يقول الكافر المنكر للبعث: هل سأخرج من القبر حياً؟ يتعجب ويستبعد إعادته بعد موته ﴿يَذْكُرُ الْإِنسَٰنُ﴾ هل يتذكّر هذا المنكر للبعث أول خلقه، ليعلم أن الذي خلقه من العدم قادر على أن يعيده بعد الفناء!! ﴿جِثِيًّا﴾ جالسين على ركبهم لشدة الهول ﴿عِتِيًّا﴾ من هم أعصى لله وأشدُّ تمرداً ﴿صِلِيًّا﴾ من هم أحقُّ بالإحراق في نار الجحيم ﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾ ما منكم من أحد إلا سيمرُّ على الصراط، المنصوب على نار جهنم ﴿حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ قضاءً مبرماً لا يمكن أن يتخلّف ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ أحسن عيشاً وأكرم مجلساً ومنتدى؟ ﴿أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾ وكثير من الأمم الكافرة أهلكناهم، كانوا أكثر من أهل مكة مالاً، وأبهج صورة ومنظراً حسناً ﴿فِى الضَّلَٰلَةِ﴾ مستمراً في طغيانه وفجوره ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ فليمهله الله ويتركه يعيش كالبهائم، لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً ﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ سيعلم الكفار من شرٌّ منزلة عند الله، المؤمنون أم الكافرون؟ ﴿وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ أقل أنصاراً وأعواناً ﴿مَّرَدًّا﴾ مرجعاً وعاقبة. **معنى الورود:** الدخول، وفي الحديث الشريف «**لا يبقى برٌّ ولا فاجر إلَّا دَخَلها** - يعني النار - فتكونُ على المؤمن، برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم، حتى إن للنار برداً من ضجيجهم، ثم يُنجّي الله الذين اتقوا ويذرُ الظالمين فيها جثيًّا» رواه أحمد، وقيل: الورودُ: المرورُ، لحديث «**لا يدخل النارَ أحدٌ شهد بدراً والحديبية**»، قالت حفصة: ألَيس الله يقول ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾؟ قال: «**ألم تسمعيه يقول: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَوا﴾**» رواه مسلم.

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا
أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا كَلَّا
سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا وَنَرِثُهُۥ
مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً
لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ
عَلَيْهِمْ ضِدًّا أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ
تَؤُزُّهُمْ أَزًّا فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا
يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ
إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ
ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا لَّقَدْ
جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ
وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدًا
وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا إِن كُلُّ مَن فِى
ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ
وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا

﴿كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ أخبرني عن هذا الشقي الفاجر، الذي كفر بآيات الله!! ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ وزعم أن الله سيعطيه في الآخرة المال والبنين!! ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ هل علم أمر الغيب الذي تفرَّد به علّام الغيوب؟ ﴿عَهْدًا﴾ أم أعطاه الله عهداً بذلك؟ نزلت في «العاص ابن وائل» (كان لخبّاب دينٌ عليه، فجاء يطلب دينه فقال له: لا أقضيك حقّك حتى تكفر بمحمد، فقال له خباب: واللّه لا أكفر حتى يميتك الله ثم يبعثك!! ـ يريد السخرية منه ـ فقال له العاص: إذاً فانتظرني إلى ذلك اليوم الذي أبعث فيه فسوف يعطيني الله المال والبنين، وأوفيك دينك)، رواه البخاري ﴿مَدًّا﴾ سنزيده عذاباً فوق عذابه، جزاء فجوره وطغيانه ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ بلا مالٍ ولا نصير ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ سلّطنا الشياطين على الكفار تُهيّجهم نحو الشرّ والمعاصي تهييجاً ﴿وَفْدًا﴾ معزّزين مكرّمين، كما يفد الضيوف على الملوك تحيط بهم بهجة الشرف ﴿وِرْدًا﴾ ونسوق المجرمين إلى جهنم كما تساق البهائم مشاة عطاشاً ﴿شَيْـًٔا إِدًّا﴾ منكراً فظيعاً شنيعاً ﴿لِّلْجِبَالُ هَدًّا﴾ تندكُّ الجبال وتتطاير من هول ذلك القول ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾ ليس أحد في السموات والأرض، إلّا وهو عبدٌ مملوكٌ لله ﴿أَحْصَىٰهُمْ﴾ ضبط عددهم ﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ أحاط علماً بهم، شبّه إحاطة علمه بهم، بالراعي الذي لا يغيب عنه عددُ أغنامه ﴿فَرْدًا﴾ وكلٌّ واحد من الخلق، سيأتي يوم القيامة وحيداً فريداً، بلا معين ولا نصير.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

سُورَةُ طٰهٰ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طٰهٰ ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾

﴿وُدًّا﴾ حباً في قلوب عباده، يُحبُّهم ويُحبِّبُهم إلى الناس، وفي الحديث: «إذا أحبَّ اللَّهُ عبداً دعا جبريل فقال: إني أحبُّ فلاناً فأحبَّه، فيحبُّه جبريل، ثم ينادي في السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه!! فيحبه أهلُ السماء، ثم يوضع له القبولُ في الأرض»

رواه البخاري

﴿لُّدًّا﴾ شديدي الخصومة والجدال ﴿رِكْزًا﴾ تسمع لهم صوتاً خفياً، فقد بادوا وهلكوا، فكما أهلكنا السابقين نهلك قومك المكذبين.!

سورة طه

﴿طه﴾ من أسماء الرسول ﷺ، وعن ابن عباس أنها بمعنى: يا رجل، وقيل معناها: يا حبيبي كما ذكره الشوكاني ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾ ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب، بحزنك على قومك المكذبين ﴿لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ ما أنزلناه إلا تذكيراً لمن يخاف الله، ويخشى عقابه ﴿تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ وما تحت التراب من مكنونات ومعادن ﴿ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ يعلم الأسرار، وما هو أخفى من ذلك، كالخاطرة والهاجس ﴿ءَانَسْتُ نَارًا﴾ أبصرتُ ناراً ﴿بِقَبَسٍ﴾ بشعلة من النار تستدفئون بها ﴿هُدًى﴾ أجد هادياً يدلني على الطريق ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ انزعْ نعليك من رجلك، فأنت بالبقعة المقدسة في جبل الطور.

سبب النزول: رُوي أن رسول الله ﷺ لمّا نزل عليه القرآنُ، صلّى هو وأصحابُه، وأطالَ القراءةَ والقيامَ، فقال المشركون: ما أنزلَ الله هذا القرآن على محمد، إلّا ليشقى به، فأنزل الله قوله: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ تفسير ابن الجوزي.